

الرتب الملكية في الدولة العلية

لحضرة الحبيب السيد محمد الهادي بيرم

ابتدأت هذه الرتب من زمن السلطان سليمان القانوني وكانت لا تتجاوز ثلاثاً وذلك ان الشبان المستعدين للدخول في خدمة الدولة في مصالحها الادارية او في السراي السلطانية كانوا ينتظمون اولاً في مكان يعرف الى الآن باسم " اندرون " (وهو الآن لتربية الخدم) وحينما يخرجون منه متعلمين فنون الانشاء والادب والنظام وغيرها ينتظمون في سلك الكشاب وبنالون رتبة " خواجهكان ديوان هايون " وبترقون الى رتبة " ميرميران " وهي المعروفة عند الافرنج بباشا ذي توخ واحد (والتوخ ذيل فرس يحمل امامه) ومن هذه الرتبة يترقون الى منصب الوزارة ولم تكن هذه الرتب كلها تعطى الا لعدد قليل من المستخدمين لا يتجاوز السبعين او الثمانين . وكان الموظفون الذين يرسلون في مهام مخصوصة بسفارة سياسية او تبليغ اوامر عسكرية يطلق عليهم لقب « ركاب هايون قيوجي باشي » وهي رتبة شبيهة بالياور في الازمان الحاضرة وتعرف في توارنج العرب الحديثة وتوارنج الافرنج باسم « قايجي »

ولما اتسعت الدولة ونظمت اياتها في فارقي اوربا واسيا جعلت في كل قارة رئيساً على الولاة يرجعون اليه في اشغالهم وتخطبة الدولة لجمع قواتها الحربية عند الاتضاء وعيّن الرئيس الذي في اوربا « روم ايلي بكاربكي » اي رئيس بكوات الروم ايلي والرئيس الذي في اسيا « اناطولي بكاربكي ». واقامة الاول في مدينة قلبه واقامة الثاني في مدينة كوتاهية وجعلت علامة لكل منهما تميزه عن غيره في المواعك الرسمية وفي معسكرات الحروب وهي توخان يرفغان امامه وقد العيت وظيفه اناطولي بكاربكي ولم تبق من الرتب اما روم ايلي بكاربكي فانها العيت وظيفتها وبقيت مجرد عنوان يعطى تكريماً لبعض الرجال. اما الحائزون لرتبة الوزارة ولم يكن عددهم أكثر من سبعة فيرفع امامهم ثلاثة اتواخ . وعلامة فسطاط الحضرة السلطانية تسعة اتواخ . واستعمال الاتواخ عادة قديمة مأخوذة من التركان ولم تزل مستعملة في الجيوش النظامية الاوربية فعلاحة شايط اركان الحرب ذيل فرس معلق في صدر حصانه. وقد الفت الدولة العلية استعمال الاتواخ بعد الغاء جيش اليكيجارية

ثم كثر اعطاء الرتب ولم تبق مقيدة بعدد مخصوص وتوسعت الالقاب فزيد عليهم

رتبتا بآية الاصلبيل العامر واسير الامرا ويلقب صاحب الرتبة الاخيرة باشا. ودام الحال على ذلك الى سنة ١٢٤٨ هجرية في زمن السلطان محمود الثاني عندما ابتدا تنظيم الدولة العلية ثانية فقسم جميع مأموري السلطنة الى خمس مراتب وهي الدرجات المعروفة الآن بالكادر في الحكومات الاوربية فاعتبر كل من كتبخدا الصدارة وهو مستشارها الآن ودقردار الخزينة العامرة (ناظر المالية) ورئيس الكتآب (ناظر الخارجية) وناظر المقاطعات من رجال الرتبة الاولى واطلق عليهم عنوان «سعادتو افندم» واعتبر الجاوش باشي (ناظر العدلية) وامين الترسانة (وهي وظيفة انضمت الى منصب القبطان باشا واطلق عليها الآن اسم ناظر البحرية) وامين الطوبخانة (اي ناظرها) من رجال الرتبة الثانية وجعل لهم عنوان «عزتو» واعتبر بكلكجي الديوان الهايوني (وهو المكلف باعمال الرتب ونظاماتها وما يتعلق برسومها وبكتابة الفرمانات والخطوط السلطانية) ومكتوبجي الصدارة ومعاون الديوان الامدي الهايوني (وهو المكلف بجميع المخبرات التي تقع بين المابين السلطاني والباب العالي) وكذلك كبار رجال الباب العالي من ارباب الرتبة الثالثة وجعل لهم عنوان «رفعتو» واعتبر امين الجزية وامين الجزية (وهو المكلف بكمرك الدخان) وامثالها من ارباب الرتبة الرابعة وجعل لهم عنوان «فتوتو» واعتبر ذوو رتبة خواجهكان ديوان هايون وامثالهم من رؤساء الاقلام من ارباب الدرجة الخامسة واطلق عليهم عنوان «فتوتو» ايضا ثم كثر عدد رجال هذه الرتب فقسم ارباب الرتبين الثانية والثالثة الى درجتين واعتبر الموظفون الحائزون لمراتب نظار الاقلام ارباب الرتبة الثانية من الصنف المتمايز وغيرهم من ذوي الرتبة الثانية الاصلية بقوا على حالهم وكذلك اعتبر بكلكجي الديوان الهايوني ومكتوبجي الصدارة وامثالها من موظفي الباب العالي من ذوي الرتبة الثالثة من الصنف الاول واما الموظفون خارج الباب العالي فجعلوا من الرتبة الثالثة من الصنف الثاني. وقد النفي تقسيم الرتبة الثالثة سنة ١٢٥٢ وعادت رتبة واحدة كما كانت عليه ولم تزل كذلك الى الآن

وسنة ١٢٥٢ حوّل لقب كتبخدا الصدارة او كتبخدا بك الى ناظر الملكية (ثم ناظر الداخلية سنة ١٢٥٣) وحوّل لقب رئيس الكتآب او رئيس افندي الى ناظر خارجية. وناظر المقاطعات الى دقردار المتصورة. ودقردار الخزينة العامرة مع امانة الضربخانة العامرة الى دقردار الضربخانة العامرة. وهي الآن نظارة المالية. ووجهت

الى ارباب هذه الوظائف مع ولاية الابالات رتبة الوزارة والمشيرية معا مع لقب افندي كما كانوا . وبقوا كذلك الى سنة ١٢٥٣ وحينئذ وُجّه الى ارباب الوزارة والمشيرية لقب باشا وهو ملازم لم الى الآن وبعد ذلك بقليل انضمت وظيفة ناظر الداخلية الى الصدارة العظمى واطلق على صاحبها اسم « باش وكيل » ودام كذلك الى سنة ١٢٥٥ فاعيد لقب الصدارة وفي سنة ١٢٩٦ اعيد لقب الباش وكيل وسنة ١٣٠٠ اعيد لقب الصدارة كما كان . وحدثت اذ ذاك وظائف المستشارين وهم وكلاء الدواوين واعتبروا من رجال الرتبة الاولى ومثلهم الباش جاوش (الذي حول لقبه الى ناظر ديوان الدعاوي وهو ناظر العلية حالا) ومحاسبه جي الحرمين وهو ناظر الاوقاف الآن سنة ١٢٥٥ تقدم مستشار الصدارة ومأمور المالية ودفتردار الخزينة العامة الذين هم من رجال الرتبة الاولى على اصحاب رتبة « فريق » وزيد لفظ « حضر تلري » على عنوانهم الاصلي وهو « ساداتلو افندم » ويقال عند التكلم عن احدهم « المشار اليه » بدل « المذكور » واعتبروا من ارباب الرتبة الاولى من الصنف الاول ثم وجهت هذه الرتبة ايضا الى ناظر الضرميخانه وكتبخدا (وكيل دائرة) والدة السلطان اما باقي رجال الرتبة الاولى فاعتبروا من الصنف الثاني

ولما كثر عدد رجال الرتبة الاولى من الصنف الاول وصارت تعطى للاشخاص من غير نظر الى الوظائف احدثت رتبة اخرى سنة ١٢٦١ سميت « بالا » واطلق على اربابها عنوان « عطوفتلو » وتقرر ان المشيرية تنصل عن الوزارة وتعادلها في الدرجة وخصصت المشيرية برجال العسكرية والوزارة برجال الملكية واعتبرت الرتب القديمة رتباً ملكية تعطى لرجال الادارة . واما الرتب الحديثة (اي التي اصلها درجات لوظائف مخصوصة وصارت درجات للرجال) فأطلق عليها اسم « قلعية » وصارت تعطى أكثر من الرتب القديمة لاتجاه الانظار اليها على حسب العادة من الرغبة في كل جديد وهذه الرتب القلعية تمتاز عن الرتب الملكية بان ليس لها لقب مخصوص فان « الباشا » لا وجود له فيها والبك والافندي او الاغا لا ارتباط له بواحدة منها فربما لقب صاحب رتبة بالا في الدرجات القلعية بلقب « افندي » وتقدم على صاحب رتبة روم ابلي بكلبيكي في الدرجات الملكية الذي بلقب باشا

ذكرنا ان مستشار الصدارة وبعض كبار المأمورين الذين درجتهم تعادل درجته وهم من ارباب الرتبة الاولى من الصنف الاول كانوا يتقدمون على الخائزين لرتبة فريق

في العسكرية ولما كثر عدد رجال الرتبة الاولى صاروا كلهم يتقدمون على الفريق ايضاً فانف رجال العسكرية من ذلك وتقرر في سنة ١٢٧٧ عند جلوس السلطان عبد العزيز ان رجال السيف يتقدمون على من سواهم ما عدا العلماء اذا تعادلت رتبهم ولم يستثن من ذلك الا الاشخاص المائزين لرتبة الوزارة اذا كانوا من وكلاء السلطنة بالفعل فانهم يتقدمون على المشيرين وكذلك يتقدم ارباب الرتب القلعية على ارباب الرتب الملكية

الا ما ندر من تقدم الميرميران على صاحب الرتبة الاولى من الصنف الثاني ويتضح مما ذكر ان هذه الرتب الملكية التي امتازت بها الدولة العلية عن سواها من الدول الاخرى كانت في الاصل وظائف ادارية او كتابية او ترتيباً لدرجات المستخدمين كما هو الواقع في كادر الحكومة المصرية الآن ثم اهمل اصلها وصارت تعطى للاشخاص لمجرد التكريم او المؤيعة مثلاً ثم انه لارابطة في توجيه هذه الرتب قهرى كثيرين من ذوي الرتب القلعية يتولون مناصب ادارية وبالعكس

وهاك جدول الرتب القلعية والملكية او الادارية المستعملة الآن مع عنواناتها

الرتب الملكية او الادارية	الرتب القلعية	العنوان
وزير (باشا)	يقابل	دولتلو افندم حضر تلي
.....	"	عطوفتلو افندم حضر تلي
روم ابلي بكركي (باشا)	"	سعادتلو افندم حضر تلي
ميرميران (باشا)	"	سعادتلو افندم
ميرامرا (باشا)	"	عزتلو افندم
باية الاصطبل العامر	"	عزتلو بك او افندي او اغا
ركاب هايون قبوجي باشي	"	رفعتلو " " "
خواجكان ديوان هايون	"	فتوتلو " " "
.....	"	فتوتلو " " "

هذا ما اردنا بيانه من اصل الرتب القلعية والملكية في الدولة العلية وهو دليل على ان الدولة توخت دائماً خطة العمل لا خطة النظر وارادت بربتها الدلالة على مناصب رجالها في اعالم المختلفة فالرتبة كانت اولاً عنوان الخدمة التي يقوم بها صاحبها سواء كان في الامور العلية او العسكرية او الادارية لكن احوال الزمان تقضي احياناً كثيرة ان يستعوض الانسان عن الحقيقة بالرسم